

المفاهيم التعليمية الأخلاقية ما بين محمد علي شمس الدين وشهريار (دراسة مقارنة)

نور قببسي^١
أ.د. محمد خاقاني أصفهاني^{٢*}

الملخص

إنّ وجود الأفكار الأخلاقية في الشعر العربيّ والفارسيّ، المستمدة من الثقافة والتربية الدينية، أضفى على الأدب والشعر العربيّ والفارسيّ عمقًا وغنى خاصًا. فدراسة الأدب في لغتين مختلفتين بشكل مقارن يساعد على فهم أفضل ومعرفة أدقّ لوضع الأدب والمجتمع لدى كلا الشعبين، كما يسهم في التعرّف على أوجه التشابه والاختلاف بينهما. محمد علي شمس الدين وشهريار من بين الشعراء الذين يتمتعون بمعرفة واسعة بالقضايا الأخلاقية والإنسانية. من الواضح أنّ شمس الدين اهتمّ في قصائده بالقضايا الأخلاقية بهدف إصلاح المجتمع العربيّ بشكل خاصّ والبشرية بشكل عام. ولا شكّ أنّ هذا يعكس انشغاله

١- طالبة ماجستير، سنة ثانية في الأدب المقارن فارسي- عربي مشترك بين الجامعة اللبنانية وجامعة أصفهان.
مدرّسة اللغة الفارسية في جامعة المصطفى والمستشارية الإيرانية ومدارس المهدي.

الإيميل: nourqoubaisi@gmail.com

٢- أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان، الجمهورية الإسلامية الإيرانية (الأستاذ المشرف)

khaqani@fgn.ui.ac.ir

العميق بهذه القضايا. يتمحور اهتمامه الرئيسي حول قضايا المجتمع ومعاناة الناس الاجتماعيّة، كما أنّ تناوله للقضايا الأخلاقيّة الفرديّة يأتي في سياق تحقيق الأخلاق الاجتماعيّة وبناء مجتمع كريم يتمتّع بالكمالات الإنسانيّة والإلهيّة. فالمجتمع الذي يتميّز بالأخلاق ينشئ أفرادًا أخلاقيين في حضنه. لذلك، ركّز معظم جهوده على توعية الناس حول قيمة وجودهم وحقوقهم الإنسانيّة والاجتماعيّة.

أمّا شهریار، فهو شاعر أخلاقيّ يعمل بمهارة وبراعة على توضيح المضامين الأخلاقيّة والتعليميّة في أشعاره. قصائده غنيّة بالقيم الأخلاقيّة والحكم والمواعظ. وتظهر دراسة أشعاره مدى اهتمامه بتعليم جمهوره، حيث يعتقد أنّ العصر الحاضر مليء بالضلال والنواقص الأخلاقيّة. وأكّد أنّنا ما دمنا لا نلتزم بأوامر الله، سنظلّ نسير في طريق الخطأ والضلال. في ديوانه بأكمله، وبالإضافة إلى إبداعه الأدبيّ ورعايته لجماليّات الشعر، لا يفوت شهریار أيّ فرصة لتقديم التعاليم الأخلاقيّة والتربويّة. ويسعى دائمًا لتحفيز جمهوره على اختيار الطريق القويم. موضوع البحث بالنسبة إليه هو إبراز أبرز تعاليمه لإصلاح النفس وهدايتها نحو حياة أفضل. لذلك، فإنّ دراسة المضامين الأخلاقيّة في أشعارهما يعدّ أمرًا مهمًّا وضروريًّا.

فالغرض من البحث هو استقصاء وتحليل الموضوعات المشتركة والمختلفة في أشعارهما، وتصنيف هذه الموضوعات ضمن مجال التعاليم الأخلاقيّة، حيث سيتم تناول الموضوع وتوضيحه بالاستناد إلى نظريّة المدرسة الأمريكيّة في الأدب المقارن، وبلاستفادة من المنهج المقارن والمنهج التحليلي-الوصفي. كما سنبين في هذا البحث مواطن الائتلاف والاختلاف في المفاهيم التعليميّة الأخلاقيّة بين الشاعرين.

الكلمات المفتاحيّة: الأدب المقارن، المفاهيم التعليميّة الأخلاقيّة، محمّد علي شمس الدين، محمّد حسين شهریار.

المقدمة

لقد خلُق الإنسان بموجب الفطرة والتعاليم الدينيّة بهدف تحقيق مقام العبوديّة والتقرّب إلى الله عزّ وجلّ، إلى جانب تحقيق الكمال الروحيّ والمعنويّ. ولا يتحقّق هذا الهدف إلّا في ظلّ تهذيب الروح وتحلّي النفس بمكارم الأخلاق.

بدأت كتابة الكتب الأخلاقيّة مع أواخر القرن الخامس، حيث تمّ تدوين النصوص الإرشاديّة والنصائح. واستلّهمت هذه الكتابات من الكتب الدينيّة، وخاصة القرآن الكريم، والأحاديث النبويّة، وأقوال الأئمّة الأطهار وغيرهم من العظماء.

موضوع علم الأخلاق يتعلّق بالإنسان، وهدفه تحقيق السعادة والنجاح للبشريّة في الحياة. تسعى الأخلاق إلى دفع الإنسان نحو القيام بما يجب عليه القيام به باستخدام حريّته وإرادته، مع إدراك أنّ الامتثال لهذه التوجيهات يجلب السعادة، بينما يؤدّي الإخلال بها إلى الشقاء.

يعمل علم الأخلاق على التعرّف على قوى واستعدادات الإنسان المختلفة، وعلى فضائل ورنائل النفس، لتحديد كفيّة تحقيق التوازن بين الرغبات المختلفة. ويقدم هذا العلم أساليب تهذيب النفس، بحيث يتمكّن الإنسان من الوصول إلى كماله المستحقّ وإزالة العقبات التي تقف في طريقه. من دون علم الأخلاق، لن يتمكّن الإنسان من معرفة نفسه، ولن يكون قادرًا على تهذيب إنسانيّته.

النموذج الأخلاقيّ في الإسلام هو الإنسان المتحرّر الذي بلغ الكمال. يتميّز هذا النموذج بالنقاء الداخليّ والإشراق بنور المعرفة الإلهيّة. وتهدف التربية الأخلاقيّة في الإسلام إلى رفع الدرجات القلبيّة في ظلّ المعرفة بالله، حتى يصبح الشخص مؤهلاً للتقرّب إلى الله.

الأخلاق، جمع «خُلُق»، تعني الطبع، العادة، المرودة، والدين. وقد عرّفها «أبو حامد الغزالي» بأنها: «حالة مستقرّة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ومن دون حاجة إلى التفكير. فإذا صدرت عنها أفعال حسنة شرعًا وعقلًا، فإنّها تُسمّى خلقًا حسنًا، وإذا صدرت عنها أفعال قبيحة، فإنّها تُسمّى خلقًا سيئًا» (الغزالي، ١٩٤٨، ص ٣٩).

أمّا «أفرايم البستاني»، فقد عرّف الأخلاق بأنّها: «مجموعة من العادات والصفات والطبيعة والمرودة والدين، وتطلق بشكل أساسي على الأعمال الحسنة» (البستاني، ١٩٦٧، ص ٤٣٢).

الأخلاق تُعد أساسًا لتحقيق السعادة العامّة والاحترام الإنسانيّ. العلم والمعرفة لا قيمة لهما إلا إذا ارتبطا بالأخلاق. يرى «اسمايلز» أنّ تحقيق الأخلاق العالية يتطلّب الجهد والمثابرة كما تسهم في بناء شخصية الإنسان (اسمايلز، ١٩٦، ص ١٩). من دون الأخلاق، لن يصل الإنسان إلى الكمال، ولن يحقق السعادة في الدنيا والآخرة. يقول الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ نَسَّهَا) [الشمس ٩-١٠].

كما أنّ الأخلاق تلعب دورًا مهمًّا في الأدب والشعر، حيث تُعد وسيلةً فعّالة لنشر القيم الأخلاقية وترسيخها في النفوس. يستخدم الشعراء أساليب أدبية للتأثير على الجمهور، ونقل رسائلهم بطرق مبتكرة ومؤثّرة. وهكذا يمكن القول إنّ الشعر الذي يعالج القضايا الأخلاقية هو أداة فعّالة لتوجيه الإنسان نحو الإصلاح والكمال.

سنتناول في هذا البحث دراسة الموضوعات الشعرية التعليمية الأخلاقية المطروحة في أشعار محمّد علي شمس الدين وشهريار مع تبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهما لأنّهما يُعدّان من الشعراء الذين اهتموا بالقضايا الأخلاقية والإنسانية.

الموضوعات الشعرية التي تناولها الشاعران في مجال التعاليم الأخلاقية

الصبر:

تتمحور إحدى قصائد شمس الدين المتمحورة مفهوم الصبر، وهي من عنوانها «زمن الجوع» ناظرة إلى مشكلة اجتماعية لطالما عانت ولا زالت تعاني منها البشرية وهي الفقر، وعلى وجه التحديد الجوع الذي غالبًا ما يترافق مع هذه الظاهرة. أشار الكاتب في عنوان قصيدته «زمن الجوع» إلى كون هذه الظاهرة والمعاناة طويلة وقد تستمر لوقت غير معلوم وأن الجوع هو الذي يميّز ذلك الزمن الذي يبدو وأن الكاتب كان يشير إلى مسقط رأسه بيت ياحون آخذًا إيّاها نموذجًا ومنطلقًا لهذه القضية مع إمكانيّة تعميمها لباقي أقطاب العالم والأزمان، فالمعروف أنّ حادثة أو ظاهرة معيّنة قد تكون كفيلة بتسمية زمن طويل تميّنًا بها يحفظها التاريخ ويحاول الناجون من ذلك الزمان عدم تكراره أو المحافظة عليه بناءً على مدى إيجابيّة أو سلبية التسمية كما نقول زمن الانتصار أو زمن الحرب، أو حتّى زمن الكوليرا. فالظاهر من تسمية الشاعر لقصيدته كون الجوع هو الحدث المسيطر على ذلك الزمن، وإنّ ما أراده الكاتب وهي الإشارة إلى الفكرة الثانية بعث الأمل من هذه التسمية على أنّه رغم طول هذا الزمن نسبيًا إلاّ أنّه سيتغير وستتغيّر التسمية أيضًا لتصبح زمن الشبع أو زمن العدالة. إلاّ أنّ وبالقالب الآخر قد تتغيّر التسمية لتصبح زمن الموت حيث لا يبقى أحد من ذلك الزمان كي يسمّي أصلًا وكلّ ذلك معتمد على أبناء ذلك الزمن ومدى صبرهم وعزيمتهم وإيمانهم بالله أولاً، وبأنفسهم ثانيًا، وبأنهم قادرين على تغيير هذا الواقع. وأخذ الشاعر شمس الدين في وصفه أحد أبناء زمن الجوع وهي أمّ صغيرة إمّا بالشكل والجسد نتيجة للجوع وإمّا لصغر سنّها وهي إحدى العادات التي كانت في ذلك الوقت أي الزواج

والأمومة المبكرة. وقد يكون هدف شمس الدين من هذا الوصف بشكل مبطن وغير مباشر تحميل هذه العادة ثمن ما وصل إليه المجتمع من الجوع. إلا أنه وبالنظر إلى مجتمعاتنا وزماننا الحاضر لا زلنا نعاني من الجوع والفقر رغم اضمحلال هذه العادة ويمكن الردّ على هذه الملاحظة من خلال المقارنة وإثبات كون هذه العادة ليست السبب الوحيد الصحيح لكثرتها واحدة من الأسباب لأثتها مع قلّتها قلّ الفقر نسبيًا وحتى لو لم يقلّ كثيرًا إلا أنه لا زال بسبب عوامل وظروف أخرى، ويبقى كلّ هذا ملاحظة لما قد يكون قصد الشاعر.

تبدأ القصيدة بوصف حالة هذه الأمّ وهي تصرخ ويصف صرختها بأنّها تسقط في الليل الهائئ ليصف مدى قوّة هذه الصرخة وفيها لفتة شعريّة جميلة بتجسيد صعود وهبوط الصوت، والصرخة وكأنّها بمحاولتها هذه تحاول أن توصل الصوت إلى مكانٍ ما في السماء لعلّها يستجيب:

صرخة تسقط في الليل، وأكباد الحصى

لم تعد تنضجها نار الجزيرة

(بيت ياحون) هي الأم الصغيرة

تعجن الدمعة والجمر وأقمار السواد

ثم تبكي، حين تدعوها الوجوه المستديرة

أطعمينا يتّها الأم التي نعبدها

(شمس الدين، ٢٠٠٩، ص ٣٥)

إنّ توقيت هذه الصرخة مهمّ في تبيان الصبر، فهذه الصرخة صعدت في الليل بعد تحمّل الجوع والتأكّد من عدم إمكان تناول شيء حتى أكباد الحصى التي استخدمها شمس الدين من باب المبالغة وإبراز الصبر لدى أبناء هذا الزمان، فحتى الحصى والتي لو نضجت واستطعنا أكلها أو الاستمرار في أكلها لما علت صرختها وبقينا صابرين. أمّا الأم الصغيرة

والتي عرضنا بعض أوجه رمزيّتها، يمكننا إضافة معنى آخر لها وهو كون نفس القرية وهي بيت ياحون هي الأم الصغيرة لأبنائها والتي هي بدورها لم تعد قادرة على إطعام أبنائها ليس فقط أبناء القرية فالصرخة تكون مشتركة بين أبناء القرية والقرية نفسها. إذ يكمل أن الأم الصغيرة تحاول بكل الطرق، فإذا كان الحصى لم يعد ينضج، فدعنا نجرب أن نعجن الدموع أو الجمر لعلها تثمر شيئاً. فعلى كلّ حال لا نملك سوى الدمع والدعاء وتزداد الأم الصغيرة بالبكاء عندما تدعوها الوجوه المستديرة أي أطفالها إلى إطعامها وهنا كما قلنا هذه العبارة تصدق على أطفال الأمهات في تلك القرية وهذه الأمهات وأطفالهنّ يُعدّون أطفال القرية نفسها والذي يؤيد كون الوجوه المستديرة هم الأطفال عبارة «يتّها الأم التي نعبدها» فالطفل في صغره يعدّ والديه هما آلهته وخصوصاً أمّه لأنها مصدر غذائه الأوّل منذ كان في رحمها حتى أوّل قطرة حليب منها، فتحاول الأمّ بشتى الطرق تأمين الطعام بالنفخ على الرماد وبلعن الرماد لكن لا شيء ينفع، فاستغربت مدى قسوة أعصاب الرماد إذ لم يُحرّك ساكنًا أمام هذا المشهد وجوع الأطفال لمّ لم يتحوّل الرماد إلى تفاح؟ تدرك الأم أنّ هذا يحدث فقط في الجنّة وأنه لم يعد بإمكانها فعل شيء غير الصبر، فتصبر ويبقى صدى الجوع يلوح في ذلك الزمان «أطعمينا».

(تنفخ الأم عن الجمر الرماد)

أطعمينا

(تلعن الأم الرماد)

أطعمينا

(كيف لا تنبض أعصاب الرماد؟)

أطعمينا

(لم يعد غير الصدى....)

أ ... ط ... ع ... م ... ي ... ن ... ا

(شمس الدين، ٢٠٠٩، ص٣٦)

في حين يتناول شهريار أيضًا مفهوم الصبر في شعره مستعرضًا أهميّة الصبر بذاته والنتائج العظيمة المترتبة عليه وتقديمه النصح قد لا يكون مباشرًا بشكل واضح حتى لا يفقد هويته كشاعر ويتحوّل إلى مصلح اجتماعي إنّما يطرح هذه الأهميّة والنتائج بلغة شعرية جميلة ومن خلال وصف واستعارة ومقاربة قد لا يلتفت إليها الجميع، الأمر الذي يجعله فنّانًا حقيقيًا، فصاحب أقلّ عقل سليم وفطرة سويّة سيفهم المقصود ويعمل بالنصيحة التي عندما تكون بهذا القالب الفني غير المباشر وغير المتهكّم والموجّه لأحد على وجه الخصوص، يكون تأثيرها أكبر وانتشارها أوسع. بالإضافة إلى كون الناصح في هذه الحالة شهريار هو نفسه متحلّ بهذه الفضيلة التي يحاول توصيفها وهذا الأمر يساعد على زيادة تقبّل الناس له ولم يرد طرحه فالناس عادة ينفرون من الشخص الذي يقدم نصيحة معيّنة وهو لا يتحلّ بها أو لا يمارسها ولا يعمل بها كأن ينصح الشخص الكاذب الناس بالصدق، فتأثيره على أنفسهم وبالتالي على سلوكهم أقلّ بكثير من تأثير شخص صادق بنصح الناس بالصدق، والأمر عينه ينطبق على شهريار فالمطلع على حياته يدرك مدى الصعوبات والبلاءات التي تعرّض لها ومدى صبره عليها، فيأخذ كلامه عن نتائج الصبر العظيمة على محمل الجدّ ذلك لأنّ شهريار قد لمس تلك النتائج بنفسه. ومن القصائد التي تحدثت عن الصبر قصيدة «سلاح الصبر» إذ شبّه شهريار الصبر بالسلاح ذلك لأنّ السلاح يستخدمه الإنسان لحماية نفسه والدفاع عن المظلومين كما ويستخدم في الهجوم أيضًا، إلّا أنّ السلاح في الأيدي والنفوس الخاطئة يتحوّل لأداة للظلم وكذلك الأمر بالنسبة إلى الصبر، فعلى الإنسان أن يستعين بالصبر في مواقف معيّنة صحيحة لأنّ هناك بعض المواقف بحاجة إلى انتفاضة كي لا يتحوّل سلاح الصبر إلى سلاح الخنوع والذل. وبعيدًا عن هذه التقديرات يُبرز شهريار في قصيدته هذه الجانب الدفاعي عن الصبر، إذ عدّ سلاح العقل في مواجهة المصائب هو الصبر. فالشخص عندما يتعرّض لهجوم كبير وحين تتكاثر عليه البلاءات فإنّه قد تخرج منه أفكار وتساؤلات تزعزع استمراره النفسي

وقد تصل لتطال استمراره الايماني في بعض الأحيان. فإذا انتصرت هذه الأفكار ولم يستطع العقل احتواءها، فإنها ستبدأ تظهر وتتمثل في السلوك وهنا يكمن أهم وأقوى خطّ دفاع للعقل ألا وهو الصبر. إذ يحجب تلك الأفكار ويحافظ على استقرار الإنسان. فالصبر تقريباً ككلّ شيء في هذه الحياة، كلما مارسته أكثر اعتدت عليه أكثر وأصبح أسهل للتطبيق، فشهر يار في البيت الثاني، أدناه، لا ينكر صعوبة الأمر خصوصاً في المراحل والمراتب الأولى متسائلاً عن أي مكيدة يمكن أن نعفو أو نصبر. إلا أنّ العفو مرتبة أعلى من الصبر ولعلّه إشارة إلى هذا التدرّج الذي شرحناه فعندما يصبح الصبر سهلاً عند الانسان فإنّه ينطلق إلى مرحلة العفو عن كلّ مكروه ناتج منها. فالبلاء الواحد قد يولد أكثر من مكروه على عدّة أصعدة من حياة الإنسان والدرجة الأعلى والأرقى في فضيلة الصبر هي الصبر عليها جميعها بل هو العفو عنها أيضاً، ويختتم بتشبيهه آخر يُري مدى أهميّة الصبر وتأثيره الجميل على الإنسان، فكما تُطلى المعادن العادية ذات القيمة الضئيلة بالذهب فتصبح أجمل من ناحية الشكل وتزداد قيمتها كذلك تأثير الصبر على الإنسان فيزيده جمالاً وقيمة بين الناس ويزيح عنه الحزن.

عقل را اسلحه در جنگ مصائب صبر است
او چه مكرى كه معافى دهد از هر مكروه
چون فلزى كه مطلا كنى از آب طلا
به شكر خنده هم اندود توانى اندوه

(شهر يار، ١٣٨٥، ص ١١٣٩)

الترجمة:

للعقل سلاح في حرب المصائب، هو الصبر هو الدرع / يا لها من حيلة تمنح العفو عند كلّ مكروه / كما تطلي المعدن بماء الذهب / يمكنك تغليف الحزن بابتسامة شكر

التشابه والاختلاف:

يتشابه شمس الدين وشهريار لأنهما تعرضا لنفس المفهوم الأخلاقي وهو الصبر حيث أبرزتا أهميته ونتائجه وأثره، ولم يغفلا عن صعوبته إلا أنهما يختلفان أولاً في نوعية الصبر، فالصبر المطروح عند شهريار أعم مما هو عند شمس الدين وأشمل، فشمس الدين اختار التحدث عن الصبر على الفقر والجوع في حين شهريار تناول موضوع الصبر بشكل عام ليشمل كل مصيبة وبلاء بما فيها الفقر. ثانياً يبرز وجه الاختلاف في اللغة الشعرية إذ لم يعبر شمس الدين بلفظة الصبر خلال قصيدته «زمن الجوع» إلا أنها تفهم من خلال المعاناة التي حاول تصويرها في حين أن شهريار كان مباشراً في ذكر هذا اللفظ وأهميته. والاختلاف الثالث يكمن في التوصيف، فشمس الدين قدّم توصيفاً لحالة اجتماعية وعلى ما يبدو كانت تعاني منها قريته أيضاً واستنتجنا منها صبر أبناء تلك القرية، في حين أن شهريار كان يصف ويستعير ويشبه الصبر نفسه بالسلاح تارة وبالمعدن المطلي بالذهب تارة أخرى.

التوكّل:

يستعرض محمّد علي شمس الدين في شعره مفهوماً أخلاقياً جديداً وهو مفهوم «التوكّل». والتوكّل كمفهوم ينطبق على أشياء كثيرة، فقد يتكل الإنسان على أخيه الإنسان وقد يتكل الإنسان على الحيوان كأن يوكل أمر إحضار الطير المصطاد إلى الكلب مثلاً، وهناك بعض الحالات حين يوكل الشخص جُلّ حياته وأموره لأمر لا صلة لها ولا تأثير عليها كالإفلاك والخرافات والأساطير. أمّا هدف شمس الدين هنا فهو إبراز أرقى وأسمى أنواع التوكّل وهو التوكّل على الله والذي يكون هو المستند الأساس في الاعتقاد والشعور وإن حدث عبر أقطاب الحياة المختلفة، ويمكننا هنا ربط هذا المفهوم وهذا الهدف بعنوان القصيدة التي ورد فيها وهو ربط جميل وموفق من قبل شمس الدين، فقصيدة «أربعة وجوه في مرآة مكسورة» تشير إلى كون الناظر في المرآة شخص واحد ولكنّه في الحقيقة ذو وجوه

متعددة مختلفة، يظهر كل وجه منها على أساس الموقف أو الشخص أو الشعور الذي يخضع له ويعيش هذا الشخص حالة تخبط وضياع بين هذه الوجوه فهو لا يعرف أنها وجهه ونفسه الحقيقية التي يجب أن تبرز في كل الأوقات، ولا يستطيع أن يرى تضارب هذه الوجوه أو مجموعها سويًا ليختار، إلا بعد أن تُكسر المرآة فيظهر كل وجه على جزء من المرآة المكسورة أي بعد أن تتكسر نفسه ويصل لمرحلة ضيق وضعف شديد. وهنا في هذه الحالة الصعبة جدًا لا يوجد هناك أحد تستطيع أن تتكل عليه لمساعدتك وإخراجك من حطام نفسك وانتشالك مع جزء نفسك المكسور سوى الله، كما لا يوجد شيء في هذا العالم سيساعدك على ترميم هذا الجزء المكسور وإبرازه وتحسينه عدا الله. وإذا كان الله قادرًا على هذا، فهو قادر على كل شيء من الأمور والمشاكل التي تحيط بالإنسان.

لذا فهو المصدر الأوّل والأخير والأساس لثقة الإنسان والتوكّل، وهذان الأمران أي الثقة والتوكّل مقترنان، إذ لا يمكن حصول التوكّل الصادق والحقيقي لدى الإنسان مع فقدان الثقة في المتوكّل عليه، وكلما رأى الله تعالى الثقة أعلى من جانب الإنسان أي توكله أعلى وأصلب، كلما كان ردّ الله تعالى وتوفيقه أسرع وأوضح. تبدأ الآيات المخصوصة بالتوكّل بتقديم والد نصيحة لابنه وهنا حدّد شهريار الأب والابن وهذا ليس كنصيحة أخ لأخ أو صديق لصديق لأنّه في مقام إعطاء نصيحة مهمّة يريد تعميمها على الجميع وحتى يكون أثر هذه الرسالة أقوى في النفس وأكثر تقبلاً جعل النصيحة من الأب وإلى لابن لأنّ من المعلوم أنّ نصيحة الأب دائماً ما تكون في مصلحة الابن وتكون نابعة من حبه واهتمامه الخالص له بالإضافة إلى سنه وخبرته، نحن لا نقول أنّ هذا الأمر لا ينطبق على الأخ أو الصديق أكان في موضوع صدق الشعور والمنفعة أو الخبرة فقد يكون لك أخ يكبرك بعشرين عامًا ويكون والدك متوقّفًا مثلًا فيكون بمثابة أب لك والأمر نفسه ينطبق على الصديق لكن الاستثناءات كثيرة في هذه الحالات أكثر من تلك التي بين الأب وابنه والتي وإن حصلت فلا يعدّ هذا الشخص أبًا ولا يستحق هذا اللقب أو الموقع.

وهذه النصيحة تمثلت بسرد قصة الروم والتي قد تكون إشارة إلى القصة

نفسها المذكورة في القرآن الكريم، وأتّه في ذلك الزمن وتلك الحروب والتي وإن تكرّرت وهي سوف تتكرّر لأنّ التاريخ يعيد نفسه حتى يأتي زمن وأشخاص تمل من هذا التاريخ وتقرّر تغييره.
ماذا تبصر في قسّمات الوجه المهزوم؟
قال اسمع يا ولدي:

هذا زمن غلبت فيه الروم
فإذا ما اهتز السيف المرجاني
على عنق الطفل المفطوم
فاقرأ : (سبحانك)...
ثم اغمس كفيك بساقية النيل المسموم
وتوضاً بالدم....
اغسل وجهك بالزقوم
فالدّم ...
الدم...
الدم ...
هو الحي القيوم

(شمس الدين، ٢٠٠٩، ص ٤١)

ورأيت الأطفال تهتز أعناقهم بالسيف وحتى الأطفال الرضع منهم وهذه أكثر أشكال الظلم تجلياً فعليك أن تقرّأ «سبحانك» وهذه أوّل إشارة إلى التوكّل على الله ثم أن تتوضأ من الدم المسموم الذي يملأ النيل وهذه إشارة ثانية إلى الثقة بالله وعليك فعل ذلك لأنّ «الدم» هو الحي القيوم أي أنّ الدم والتوكّل على الله هما من يحركان الأنفس وينصرانها على الظلم وبالتالي على الحياة.

أمّا شهر يار فقد تناول أيضاً مفهوم التوكّل وخصّه بالتوكّل المطلق والخاصّ بالله تعالى وذلك في قصيدته «نهال الأمل» وهي بدورها تسمية موفقة وجميلة من قبل الشاعر. فالنهال هي الشجرة التي عُرسّت حديثاً والتي

تشكّل مثلاً وحالة واضحة للثقة والتوكّل على الله في نموّها وإثمارها، إذ بعد تهيؤ العوامل لا يمكن أن يتوكّل الشخص على أحد أو شيء آخر غير الله تعالى لكي تنمو وتثمر. يبدأ شهريار في الأبيات المعنيّة بالتوكّل بالتساؤل عن أي حكومة تكون مبنية على التوكّل ويرضى بها أيّ ملك في هذه الحياة، وهذا التساؤل في محله فكلّ الملوك عبر التاريخ وصولاً إلى الحكومات في عصرنا الحالي لا يمكن القول أنها لم تصل إلى مرحلة التوكّل المطلق في عملها، وهنا يجيب شهريار بأنّ حكومة العالم المتمثلة بهذا الكون الضخم هي وحدها من تتبع سياسة التوكّل على الله في عملها ونعم هذه السياسة ويريد شهريار أن يوضّح ويقارن بين هذا العالم الشاسع الواسع الذي يثق بالله تعالى ويتوكّل عليه في أموره والنتيجة العظيمة المحيرة من سريانه وحكومات العالم أجمع التي نكاد لا نرى مقارنة بينهما ونتائجها المخزية تجاه نفسها وتجاهل العالم في هذا الصدد لينصح ويوجّه العالم المتمثل بالبشر بانتهاج هذه السياسة وهي التوكّل والثقة بالله تعالى في كلّ أمور ومنعطفات الحياة في حياتهم الشخصية وفي سياساتهم الاجتماعية والثقة والوعد بأنّ النتائج ستكون ناجحة وعظيمة ولا يحتاج إلى إعطاء دليل أو ضمان لذلك لأنّ العالم مفتوحٌ فاقروؤه.

چه دولتی است توکل که شهريار به کام

جهان خویشان از دولت توکل کرد

(شهريار، ۱۳۸۵، ص ۱۷۲)

الترجمة:

التوكّل دولة ويا لها من دولة استعان بها شهريار ليجعل دنياه هي التي تروق له ولذائقته

التشابه والاختلاف:

كلا الشاعرين تناولا مفهوم التوكل، وخصّاه بالتوكل على الله وإبراز أهميته على حياة الإنسان والنصح له ولكن بأسلوب خاص بكلّ منهما فكان نصحاً جميلاً وفريداً من كليهما، فشمس الدين استعمل النصيحة المتمثلة بالأب والابن لإبراز التوكل رابطاً إياها بمواجهة الظلم. أمّا شهریار فقدّم تساؤلاً عن أهميّة التوكل وفوائده رابطاً هذا التساؤل بالحكومة والعالم.

الإخلاص:

يكمل شمس الدين رحلته في تضمين المفاهيم الأخلاقية في ديوانه ويلمّح في أبيات من قصيدته «بقعة خلف مدار الذاكرة» إلى مفهوم مهمّ جداً ألا وهو الإخلاص وكعادته يختار شمس الدين عنواناً مناسباً وموفقاً لما يريد طرحه، فالشيء الذي يكون خلف الذاكرة والذي عبّر عنه بـ «البقعة» يكون أكثر قرباً من النفس وأصعب من أن يُنسى وعليه يجب أن يكون أمراً ذا أهميّة كبيرة للنفس سواء أكان صفة يجب أن تتحلّى بها النفس كالإخلاص مثلاً أو قد تكون البقعة شخصاً أو حدثاً معيّناً له مكانة خاصّة في النفس فتسحبه إلى ما وراء الذاكرة. الإخلاص بمعناه الواسع يشمل الإخلاص في العمل، والإخلاص في العلاقات الإنسانيّة وغيرها، لكن ما يريد الشاعر التعبير عنه وتوصيفه هو الإخلاص لسيد الكون أي الإخلاص لله في العبادة والحياة. حيث تبدأ الأبيات بخطاب بين الفقراء والله، واختيار الفقراء بالذات كأحد أقطاب الخطاب هنا دقيق لكون صفة الإخلاص تتمثّل بهم بل وتكون واضحة نيّرة لأنّهم رغم فقرهم ومعاناتهم من ذلك إلا أنّهم يبقون مخلصين لله ولا يرتدون عليه. إذ يعبرون بأنّهم ملح الأرض للإشارة إلى كثرتهم وأهميتهم في هذه الحياة، وأنّهم يشربون السمّ ويبقون شرفاء وهي مبالغة لما يتعرّضون له من أنياب هذه الحياة، لكنّهم لا يخونون علاقتهم بالله إذ أنّ عبادتهم وخطابهم معه لا يتأثر بالصعاب أو أيّ شيء آخر. خطابهم معه خطاب خالص بالعبوديّة.

نحن ملح الأرض نحن الفقراء

نشرب السم ونبقى شرفاء

(شمس الدين، ٢٠٠٩، ص ١٥٧)

وفي السياق نفسه لا يفوت شهريار فرصة الحديث عن الإخلاص أيضًا إذ يضمّنه في قصيدة «سلام» وفي هذه القصيدة قد لا يكون واضحًا كون نوع الإخلاص المنتقى هو الإخلاص لله، لكنّه بشكل أكيد عائد إليه، فهو يسلم ويحيي المحاربين والمقاتلين الشجعان على طول الزمن، تحديداً الزمن الإسلامي الذي برز هؤلاء الأبطال فيه للدفاع عن الإسلام من أول شهيد في الإسلام عمّار إلى مالك الأشتر وصولاً إلى آخر شهيد مضى في الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة التي تُعدّ امتداداً لهذا النهج والنموذج المعاصر الحقيقي الذي شكّل حمايةً وصوناً كبيراً للإسلام من الانهيار.

سلام ای جنگجویان دلاور نهنگانی به خاک و خون شناور

سلام ای صخره های صف کشیده به پیش تانکهای غول پیکر

صف جنگ و جهاد صدر اسلام صف عمار یاسر مالک اشتر

به قرآن و صف او بنیان مرصوص صف مولا علی سردار صفدر

(شهريار، ١٣٨٥، ص ١١٣٢)

الترجمة:

سلامٌ عليكم أيّها المحاربون الشجعان / أنتم كالحيّتان تسبحون في الدماء والأرض

سلامٌ عليكم أيّتها الصخور المصطفة / في وجه الدبابات العملاقة

صفكم هو صف الحرب والجهاد في صدر الإسلام / صف عمّار بن ياسر ومالك الأشتر

وقد وصفه القرآن بالبنيان المرصوص / صفٌ يقوده المولى علي القائد المغوار

يصفهم شهريار بالشجاعة والصلابة كالصخور والجبال كما يصفهم بما وصفهم به الله أي البنيان المرصوص المتماسك لتحقيق هدف واحد وهو حماية الإسلام. فمن خلال هذه الأبيات تتوضّح رسالة شهريار وهي أخذ إخلاص

هؤلاء الأشخاص محلّ فخر واقتداء وإخلاصهم يتمثّل في الإخلاص للإسلام ورسالته والتي مردّها الإخلاص لله وحماية رسالته من التحريف أو حتى النسيان وإخلاصهم لأولياء الله ورسله كالنبي محمّد (ص) والإمام علي عليه السلام. فلولا هذا الإخلاص في قلوبهم لحماية هذه الرسالة لاندثر الإسلام وما بقي منه شيء.

التشابه والاختلاف:

يلتقي الشاعران في تضمين كلّ منهما لمفهوم الإخلاص في شعره من خلال اتخاذ نماذج تتحلّى بهذه الصفة وهنا يكمن أول اختلاف بينهما فشمس الدين اختار الفقراء ليمثّلوا صفة الإخلاص، أمّا شهريار فاختر المجاهدين والمدافعين عن الإسلام لآداء هذا الدور فيما يخصّ مفهوم الإخلاص نفسه، فشمس الدين تحدث عن الإخلاص لله وشهريار تحدث عن الإخلاص لحماية الإسلام والذي يمكننا عدّه إخلاصًا لرسالة الله والفرق الثالث الواضح بينهما هو اللغة الشعرية الفنية التي حافظ عليها شمس الدين في قصيدته فهو يعتمد لغة شعرية خاصّة، فكانت قصيدته مليئة بالجدة في المعاني، وكثافة الصورة وأصالتها. أمّا شهريار فقد كان تركيزه على المعنى والمحتوى الذي يتناغم مع الثورة وليس على التعبير الفني. فلغته قائمة على البساطة وسلاسة الكلام.

حسن الظن:

إنّ اختيار مفهوم أخلاقيّ محدّد من ضمن مجموعة كبيرة من المفاهيم وتضمينه في الشعر الذي لا يعدّ المكان الأنسب أو لنقول المألوف لهكذا مواضيع يدلّ على معرفة الكاتب بهذا المجال وتأثره به في المنحى العمليّ والحياتيّ وعليه فقد اختار شمس الدين أحد أهمّ المفاهيم الأخلاقية التي لها تأثير عظيم ليس فقط على نفس الإنسان وإنما على المجتمع بأسره، وهذه الفضيلة هي حسن الظنّ التي عالجها الشاعر في أبياتٍ من قصيدة

«حراسة الليل حراسة الشاهد».

وهذا العنوان في حقيقة الأمر مثير للاهتمام خصوصاً في محاولة ربطه بأبيات حسن الظنّ على وجه التحديد. فلليل والشمس أصدقاء مختلفون تمامًا، فأصدقاء الليل هم الشعراء، الكتّاب، الفنانون بشكل عام وهذه قلة أمّا أكثر أصدقاء الليل لجوءاً له فهم المكتئبون والمحزونون الذين ضاقت قلوبهم أو عقولهم في هذه الحياة، فيكون الليل خير جليس ومستمع لهم ويعدّونه شاهداً على كلّ ما يشعرون به أو يعبرّون عنه. فمن هنا عدّ الكاتب حراسة الليل هي حراسة للشاهد ولفظة الحراسة هنا تشير إلى تخوُّف الشخص من فقدان الشاهد عندما يطلع الصباح، لكنّ الشاعر يريد من كلّ مَنْ يرى في الليل صديقاً وأنيساً أن لا يحرسه مخافة أن لا يعود بل أن يحسن الظنّ به وبأنه عائدٌ لا محالة و فقط عليه الانتظار ومن هذا المنطلق السهل نسبياً بسبب دورة النهار والليل على الإنسان أن يحسن الظنّ بأخيه الإنسان وهذه الخطوة قي غاية الصعوبة والتعقيد لما تحمله النفس من احتمالات ورغبات وما تشكّله هذه الحياة من محطة تزامم، فإذا استطاع المجتمع بأسره أن يحسن الظنّ فهذه ستكون نقلة نوعيّة في مسيرة تكامل المجتمع نحو إنسانيّته المرجوة لكنّ الأمر ليس بهذه السهولة لذا أراد الشاعر أن يبيّن هذا الأمر وأن يوضح حدود حس الظنّ فيختار في أبياته شخصين يعاتب أحدهما الآخر:

حدّرتك من هذا الدرب وتلك الصخرة

حدّرتك من طيف أبيك

حدّرتك من سيّدة القصر الفتّانة

حين تكون الضحكة أقصر من شفيتها

حدّرتك من سيّدك البدويّ إذا صلّى

وتوضّأ بالياقوت

حدّرتك من طيف نبي يظهر عند الجسر

ويقتلُ باسم براءته

حدّرتك من طيف إلهك تصنعه قبل طلوع الفجر

وتأكله حين تجوع
 حدّرتك من أشباهك في الأحياء
 ومن أشباهك في الموتى
 ولكنهم سيدي، خدعوني

(شمس الدين، ٢٠٠٩، ص ٢٩١)

فالأول يمثّل الشخص الذي يسيء الظنّ أو لنقول يُعدُّ حذرًا بشكل أكثر ممّا يجب وهو يعاتب الشخص الثاني الذي يُعدُّ مثاليًا لحسن الظنّ. فالشخص الأول حدّر الشخص الثاني من العديد من الأمور التي قد تكون في بعض الأحيان مبالغًا فيها كتحذيره من الدرب والصخرة وطيف أبيه ومحذرًا إيّاه أيضًا من سيّدة القصر الفتّانة وهذا تحذير من الانجرار وراء الشهوة ومحذرًا إيّاه من اتباع المنافقين وممن يدعون الفقر ويتوضؤون بالياقوت وحدّره من الانجرار وراء هذا النفاق، كأن تأكل طيف إلهك حين تجوع كما وحدّره من أشباهه من الأحياء والموتى ليصحح مسار حياته. وبعد كلّ هذه التحذيرات يجيب الشخص الآخر بأنهم خدعوه أو بمعنى أنّه خُدع وهذه إشارة لحسن ظنّه بكلّ هذه التحذيرات، ويريد الشاعر هنا أن يوضّح حدود حسن الظنّ فلا سوء الظنّ وكثرة الحذر في كلّ تفصيل في هذه الحياة مناسب ولا حسن الظنّ بشكل مطلق لأنّه عرضة للخداع، فهناك بعض الحالات لا مجال لأيّ احتمال حسن في حقه فيجب الحذر وهذه المهارة بحاجة إلى خبرة كبيرة وإذا اتقنها المجتمع فإنّه سيتكامل بشكل سريع وسيتمكّن من تشخيص كلّ فرد من أفرادها بشكل صحيح ودقيق ومحاولة الإصلاح.

في حين يشير شهريار إلى أعلى مراتب حسن الظنّ وأكثرها تأثيرًا على حياة الإنسان وهي حسن الظنّ بالله ويمكن استخراج هذه الإشارة من خلال بعض الأبيات التي ذكرها في ديوانه مخاطبًا القلب وهو موطن النفس والإيمان بأنك إن لم تستطع رؤية الخير والجمال في هذا العالم فلا تحزن ولا تتضايق، فإنّ الله موجود وهو منبع الجمال والخير. وقد تناول أثرًا واحدًا في هذه الأبيات وهو الكرم وما له من تأثير على النفس، فلو اختفى الكرم من أنفس جميع البشر فعلى القلب أن لا يحزن وأن يُحسن الظنّ بالله بأنّه

أكرم الأكرمين وسوف يرزقك.

ای دل اگر در جهان نشان کرم نیست

غصه مخور جان من خدای کریم است

(شهریار، ۱۳۸۵، ص ۱۰۸)

الترجمة:

أيها القلب إن لم يكن في هذا العالم أثرٌ للكرم / فلا تحزن يا روعي فإن

الله كريم

التشابه والاختلاف:

وعليه يتشابه الشاعران بحديثهما عن حسن الظن وتأثيره الإيجابي على المستوى النفسي والمجتمعي، لكنهما يختلفان بنوع حسن الظن المتطرق إليه وطريقة التعبير عنه، فشمس الدين تطرق لحسن الظن بشكل عام وبين الأشخاص والحوادث بشكل خاص بصورة عتاب بين حسن الظن وسوءه للوصول إلى الحل الوسطي الذي يمثل طريق تكامل المجتمع. في حين عني شهریار بحسن الظن بالله تعالى ومدى تأثيره وإفراحه للقلب مخاطباً القلب موطن الأسرار والآمال بحسن الظن بالله، فإذا اسودت الدنيا وانقطع كل خير فيها وتلاشت كل الصفات الحميدة فيها يبقى الله وحده منبعاً للجمال والخير والرزق.

التسليم:

قد يعتقد البعض أن التوكل والتسليم يفيدان الترادف أي أنهما يحملان المعنى نفسه ولكن بالفاظ مختلفة ولكن في الحقيقة هذا الاعتقاد خاطئ، وهناك فرق جوهري بين التوكل والتسليم. فالتوكل هو وضع الثقة في شيء آخر مع مراعاة الرغبات الشخصية للمتوكل أما التسليم فهو وضع الثقة في شيء آخر حول أي موضوع في هذه الحياة من دون مراعاة لرغبات المتوكل الشخصية،

فيسلم أمره بالكامل وتكون درجة الثقة في التسليم عالية جداً لتصل إلى كون رغبات ومصالح الموكّل والموكّل واحدة، وبعبارةٍ أخرى يمكننا القول أنّ التسليم درجة أعلى من التوكّل وهذا ما يريد شمس الدين إظهاره من خلال بعض الأبيات من قصيدة «ذِكْرُ ما حصل للنبي حين أحبّ» وربط هذا العنوان بالتسليم وسيوضح عند شرح الأبيات، فكما عبّر شمس الدين عند تعرّضه لمفهوم التوكّل وأنّ أسمى مصاديقه هو التوكّل على الله، ولأنّ التسليم درجة أعلى من التوكّل فيكون التسليم لله هو بدوره أعلى وأسمى مصاديق التسليم. إلا أنّ الشاعر لم يعبر صراحةً بلفظة الله إنما استخدم لفظة القدر الراجعة لله لأنه هو وحده من يقضي ويقدر.

لأجلك عدلت ميزان روعي
وأسلمت قلبي إلى قدر غامضٍ
إلى الله ...

(شمس الدين، ٢٠٠٩، ص ٣٣٦)

فيبدأ شمس الدين على لسان النبي (ص) دون تحديده وكعادته يختار نموذجاً مؤثراً لإيصال رسالته، ففي هذه الحالة ولكون الاعتقاد السائد والصحيح بأنّ النبي (ص) معصوم عن الخطأ، فتجربته تصح أن يُقتدى بها من دون تفكير. فالنبي (ص) يخاطب حبيبته وعند سماع أو قراءة هذه الجملة أو عنوان القصيدة سينتابنا الاستغراب فهل للنبي (ص) حبيبة، وما هي طبيعة هذا الحبّ، يكمل النبي (ص) خطابه بأنّه عدل ميزان روحه حتى تتساوى كفاه ويسع حبّ الحبيبة وحبّ الله دون أن تغطي الحبيبة وتستحوذ على فكر الروح، فيأتي تساؤل واستغراب أكبر وهكذا يجب أن تقسم الروح وكيف وصل النبي (ص) لهذا التعديل؟ فيكمل النبي (ص) جوابه بأنّ هذه المرحلة الأولى من تعديل الروح وتكون بمعرفة الله والتوكّل عليه، أمّا المرحلة الثانية فيجب أن تميل كفة لله وتملأ القلب والروح. وهذا الواقع الأكمل الذي لا يُتأت إلا من خلال التسليم للقدر الغامض ألا وهو الله حتى يحتل القلب ويكسر ميزان الروح ليستنشق روح الله من قلب كلّ حبيب وحبيبة.

يؤكّد شهريار كلام شمس الدين من خلال عدّه التسليم مرتبة أعلى من

التوكل أخذًا هو أيضًا في أبياته التسليم للقدر، مبيّنًا آثاره الإيجابية على الإنسان. فالتسليم يزيل الحزن ويساعد على تجاوز الصعاب، ولإيضاح هذه الآثار ينصح شهريار في الأبيات الأولى أن يضع الإنسان رأسه المفعم بالتسليم على صدر الرضا، وهذه الحالة بعيدًا عن التشبيهات تبثّ الراحة والسلام في النفس:

بر سينه ی رضا سر تسلیم

اگر نهی از تنگنای فاقه ی مسلم توان گذشت

(شهريار، ١٣٨٧، ص ١٤٠)

الترجمة: إذا استند الصدر على رأس التسليم يمكن التغلب بسهولة على مصاعب الضيق والفقر

وفي هذا التشبيه إشارة إلى الترابط الحاصل بين الرضا والتسليم لحصول راحة الإنسان النفسية، مضيّفًا أثرًا آخر لحصول هذا الترابط ألا وهو القدرة على تجاوز الصعاب كالفقر وغيره مما يعصف بالإنسان في هذه الحياة. وفي الأبيات التالية يخاطب شهريار نفسه رابطًا بين التسليم للقدر والحزن والجزاء:

تسليم با قضا وقدر باش شهريار

وز غم جزع مکن که جزا می دهد به دل

(شهريار، ١٣٨٥، ص ٢٨٥)

الترجمة: كن راضيًا بالقضاء والقدر يا شهريار ولا تجزع من الحزن فالجزاء يأتي للقلب

فإن القاعدة التي تسير عليها الحياة والتي إن استطاع الإنسان إدراكها في وقت مبكر من عمره لتخلص من همّه وقلقه، وهذه القاعدة تقضي بأن جميع الأحزان مردّها الأخير في نهاية المطاف إلى السكينة والطمأنينة أمّا جسر العبور بين هاتين الحالتين وإمكانية تسريع عملية العبور يتمثل بالتسليم للقضاء والقدر.

التشابه والاختلاف:

يتشارك الشاعران في هذا المفهوم بالتوافق على المعنى الخاص للتسليم ونسبته بأعلى مرتبة من الله عبر القضاء والقدر، ويختلفان بطريقة التوصيف والسردية والآثار، فشمس الدين قدّم التسليم على لسان النبي (ص) موضحاً تأثيره على تحقيق التوازن الروحي لدى الإنسان. أمّا شهریار فقدّم التسليم مخاطباً نفسه مبيّناً تأثيره على تخفيف الحزن وتسريع حصول السكينة للقلب.

الأمانة:

الأمانة كما حسن الظنّ تُعدُّ من المفاهيم الأخلاقية المؤثرة على المجتمع، فقد تكون الأمانة المطلوب حفظها أمراً مادياً أو سراً معيّناً، والأمانة تعكس ثقة المؤتمن الكبيرة بحقّ المؤتمن وغالباً ما يؤدي عدم حفظ الأمانة إلى تزعزع تلك الثقة في حال علم المؤتمن الواقعي أيضاً إلى قدرة الحفظ من الطرف الآخر فعند العلم بالعكس أو الشكّ حتى فهذا لا يستدعي تزعزعا للثقة وشمس الدين من خلال هذه الأبيات يحاول إيصال هذا المعنى من خلال توصيف مشهد متخيّل أو متذكّر يحمل الطيور إياه إلى غابة في السماء التي قد تشير إلى الجنة وإيداع الملائكة سرهم في قلبه. ما هو هذا السرّ يا تُرى؟ أهي طريقة وصول الإنسان إلى الجنة قبل موته؟ ما هو، ما هو السرّ يا شمس الدين؟ يفتح شمس الدين فمه، يضمّه الملاك ليختم نحره المشقوق فيستريح الكلام ويحفظ شمس الدين أمانة الملاك في قلبه إلى آخر العمر:

أولاً: حملتني الطيور على صدرها
 ثانياً: أوصلتني إلى غابة في السماء
 ثالثاً: أسبلوني على طرفٍ من رداي
 رابعاً: شقني عند نحري الملاك
 خامساً: أودعوا سرهم عند قلبي
 وقاموا

سادسًا: ضمّني....

واستراح الكلام

(شمس الدين، ٢٠٠٩، ص ٣٣٨)

ويبقى السؤال لماذا أودع الملاك أمانته عند شمس الدين، أَلثقل هذه الأمانة على الملاك وحده؟ أم لمكانة شمس الدين؟ أم ليساعده في تنفيذها؟ لا نعلم، ولن نعلم. فهذه الأبيات إذ تشير إلى حفظ الأمانة بهذا المعنى أي حفظ السرّ.

في حين يرى شهريار الذي تعرّض لمفهوم الأمانة أيضًا في أبياته أن هناك أمانة واحدة في هذا العالم تندرج تحتها جميع الامانات وهي الأمانة الإلهية التي أودعها للإنسان مستشهدًا بآية من القرآن الكريم التي توصف عظم هذه الأمانة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. حتى السماوات والجبال أبين حملها لكنّ الإنسان رغم ضعفه قبلها ولكنّه ولطبيعته وقدرته على التكامل قادرٌ على حفظها على مدار عمره أو المحاولة الصادقة على الأقل وإلا فسيكون مصداق تكلمة الآية بأنّه ظلومٌ جهول. الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمتلك أهلية قبول الأمانة الإلهية، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى عن خلقه: «سأخلقه بنفسي مباشرة من دون واسطة، وسأودع فيه كنز المعرفة» (نجم الدين الرازي، ١٩٩٣، ص ٦٨). وهذه الأمانة هي حرية الإرادة واختيار الحقّ والوصول إلى الله تعالى. فالله خلقنا من روحه وأودعها فينا وأنزلنا إلى الحياة الدنيا موصيًا إيانا بحفظ هذه الروح والعودة بها إليه دون تشويه بل بشكل يتلاءم مع كمال الله وحقيقتنا. فأمانة الله هي روح الله لذلك عبّر أنه ليس كل خازن أو حافظ يُعدّ جديرًا بحفظ هذه الأمانة وأنّ مشيئة الله المتصلة بمشيئة العبد هي من اختارت أن تحفظها.

هر خازنى بگنج امانت امين نبود اين قرعه را كشيده مشيت بنام ما

(شهريار، ١٣٧٣، ص ٨١٢)

الترجمة:

لم يكن كلّ خازن أميناً على كنز الأمانة / لكن القدر اختار لنا هذا النصيب

التشابه والاختلاف

ليس هناك تشابه كبير في ما يخص مفهوم الأمانة بين محمد علي شمس الدين وشهريار عدا التعرّض له. فشمس الدين عدّ الأمانة هي أمانة السرّ أخذاً القارئ في رحلة عبر العوالم ومع الملائكة لتبيين ذلك، في حين عدّ شهريار الأمانة هي أمانة واحدة كبرى وعظيمة وهي الأمانة الإلهية والتي تعرّفنا بعد تحليل أبيات الشعر التي عبّر فيها عن ذلك وربطها بالآية التي استشهد بها من القرآن الكريم أنّ هذه الأمانة هي الوصول إلى الله ولما كانت كلّ الأمانات في هذه الحياة والتي من ضمنها أمانة السرّ عند شمس الدين موصلة إلى الله، فإنّها تدرج تحت هذه الأمانة الواسعة وقد يكون شهريار وضح أهميّة الأمانة بشكل أفضل من شمس الدين. فالأمانة عند شهريار بهذا المعنى تصبح سلوك حياة وهدف على الإنسان العمل على تحقيقه، وخلال عمله هذا وهو الوصول إلى الله سيتعرّف عليه بشكل أفضل ويصبح لتكامله معنى جديد مضاف. فهو لا يريد أن يتكامل لنفسه فقط إنّما لحفظ وصون روح الله من التشويه والإظلام، فكلما كانت ناصعة منيرة أنارت الإنسان على درب الوصول السريع والصحيح. وهذا الأمر كلّه نفتقده عند شمس الدين، فإنّه لم يتطرّق للأهميّة أو التأثير الذي تتركه الأمانة على الإنسان أو المجتمع حتى وإن كان معلوماً على الصعيد المجتمعيّ على الأقل، إنّما اكتفى بتضمينه خلال الرحلة التي خاضها.

الاستنتاج

محمد علي شمس الدين وشهريار من بين الشعراء الذين يتمتعون بمعرفة عميقة بالقضايا الأخلاقية والإنسانية. ومن المؤكد أن شمس الدين قد تناول الموضوعات الأخلاقية بهدف إصلاح المجتمع العربي بشكل خاص والبشرية بشكل عام في قصائده. هذا الأمر يدلّ بلا شك على اهتمامه العميق بهذه

القضايا. كان شاغله الرئيسي هو الالتفات إلى قضايا المجتمع ومعاناة الناس الاجتماعية، وتناوله للموضوعات المتعلقة بالأخلاق الفردية كان بهدف تحقيق الأخلاق الاجتماعية وبناء مجتمع كريم يتمتع بالكمالات الإنسانية والإلهية. فالمجتمع الذي يركز على الأخلاق ينشئ في أحضانه أفراداً متسمين بالأخلاق الرفيعة. لذلك وجه معظم جهوده نحو توعية الأمة بقيمة وجودها وحقوقها الإنسانية والاجتماعية.

أما شهريار، فهو شاعر ذو نزعة أخلاقية، وقد أبدع بمهارة ورقة في تناول القضايا الأخلاقية والتعليمية في أشعاره. فقصائده تزخر بالقيم الأخلاقية والمواعظ. وتظهر دراسة أشعاره اهتمامه الكبير بتعليم مخاطبيه. وقد كان يؤمن بأن العصر الحالي هو عصر الانحرافات والنواقص الأخلاقية، ويؤكد أننا ما لم نلتزم بالأوامر الإلهية، فإننا نسير في طريق الضلال والانحراف. في جميع أرجاء ديوانه، وبجانب الإبداع الأدبي، لم يدع شهريار أية فرصة لتقديم التعاليم الأخلاقية والتربوية تفوته، بل سعى لتحفيز جمهوره على اختيار الطريق القويم. وموضوع دراسته ينصب على إبراز أبرز تعاليمه لإصلاح النفس وتهذيبها من أجل حياة أفضل.

نتائج ومخرجات هذا البحث تظهر أن كلا الشاعرين محمد علي شمس الدين وشهريار تناولوا موضوعات تعليمية أخلاقية كالصبر، التوكل والإخلاص وحسن الظن والتسليم والأمانة. إلا أن التركيز والتفسيرات قد تختلف بناءً على الخلفيات الثقافية والتجارب الشخصية، مما يؤدي إلى اختلاف أسلوبهما ولغتهما الشعرية. فشمس الدين يعتمد لغة شعرية خاصة. شعره مليء بالجدّة في المعاني، وكثافة الصورة وأصالتها. حيث تتعدّد البنى اللغوية وتنوّع داخل القصيدة الواحدة، من البناء البسيط إلى البناء المركّب فالمعقد فالأكثر تعقيداً. ويأتي هذا التعدّد أو التنوّع تلبيةً لمقتضيات تعبيرية، إذ ترتبط درجة «البساطة» و«التعقيد» اللغويين بدرجة البساطة والتعقيد النفسيين. في حين أنّ شهريار يعتمد على البساطة وسلاسة الكلام في شعره، أسلوبه مباشر وغير معقد، كلامه هو كلام القلب يستمدّ عمقه من أعماق روحه الحساسة والمفعمة بالحماس. فأهمّ ما يميّز شعره هو الواقعية وصدق التجربة

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

فضلاً عن القرآن الكريم

١. شمس الدين، محمّد علي، (٢٠٠٩)، الأعمال الشعرية الكاملة لديوان شمس الدين، (مجلّدان)، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٢. الغزالي، أبو حامد، (١٣٢٦)، إحياء علوم الدين، ج٣، القاهرة: المطبعة العامرية.
٣. البستاني، فؤاد افرام، (١٩٦٧)، دائرة المعارف، ج٧، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

المصادر الفارسية:

١. شهريار، محمّد حسين، (١٣٨٥)، ديوان شهريار، المجموعة الشعرية الكاملة لديوان شهريار، (مجلّدان)، ط٢٨، تهران: منشورات زرين ونگاه.
٢. اسمائيلز، سموئيل، (١٣٤٦)، اخلاق، تهران: بنگاه مطبوعاتي.
٣. نجم الدين رازي، (١٣٧١)، مرصاد العباد، به اهتمام محمّد امين رياحى، تهران: شركت انتشارات علمى وفرهنگى.